BITARA
Volume 1, Issue 4, 2018: 020-031
© The Author(s) 2018
e-ISSN: 2600-9080
http://www.bitarajournal.com

مستقبل التعليم الديني التقليدي الحر بماليزيا في ظل التقدم الحضاري والتطور التكنولوجي في البلد

[The future of free traditional religious education in Malaysia in light of progress Civilization and technological development in the country]

Al-Hassan Lahbabi Muhammad[1], Daud Ismail[1] & Roslan Ab Rahman[1]

الملخص

يعتبر التعليم الديني التقليدي الحر بماليزيا رمزا من الرموز التراثية والدينية. وقد قدمت مدارسه عبر تاريخها خدمات جليلة للمجتمع، وأدت أدوارا عديدة للأمة الملايوية، منها التعليمي والتربوي، والاجتماعي، والديني، والحفاظ على التراث والثقافة الملايوية. لكن هذا التعليم شهد تغيرا كبيرا بتغيير مسار الحضارة في البلد من البدايات إلى الإزدهار والتطور، وانتهاء بالانكماش والركود، حيث انتقل من دراسة الأصول العلمية إلى الاقتصار على المختصرات ولحواشي، ومن المعرفة المتطورة المبنية على الاجتهاد إلى المعلومات الثابتة في الكتب والمتون. وبناء على ذلك فإن هذا المقال يقوم بدراسة المشاكل التي ألمت به وأدت به إلى الركود والانحطاط. كما يهدف إلى إبراز أسباب ذلك إلى جانب تقديم الاقتراحات الكافلة للنهوض به. واعتمد المقال في جمع مواده على المنهج الاستقرائي، حيث تتبع مواده في بطون الكتب والمجلات، وجمعت المعلومات المتعلقة به من هذه المصادر، كما استعين لتحليل المواد بالمنهج الوصفي تقريرا للمتغيرات والوقائع. واستنتج من هذه الدراسة أن أسباب تخلف التعليم الديني الحر تعود إلى سياسة المحتل الغربي أيام الاستعمار، بالإضافة إلى الإقصاء الحكومي له بعد الاستقلال. ومما زاد الطين بلة عدم رغبة القائمين عليه بتطويره والقيام بإصلاح مدارسه، ووقوفهم أمام دعوات الإصلاح والنهوض بها، وتنظيم الدراسة فيها، وتطوير مناهجها الدراسية وطرقها التعليمية لتساير العصر، وأصروا على وجوب البقاء على تلك المناهج التدريسية الضعيفة التي لا توائم عصر الحضارة والتطور، وزعموا أن دعوات التجديد بدعة جديدة، يحمل لواءها المعادون للمدارس الأصيلة، واعتبروها وسيلة للنيل من مدارسهم، ورفضوا بكل قوة، أي محاولة تهدف إلى الإصلاح والتجديد في المناهج، ويعتبرونها ذنبا لا يغتفر. ويقترح المقال للنهوض به الاعتماد على الدعم الحكومي المادي والمعنوي، وقبل ذلك القيام بإصلاح نظامه؛ الإداري والتعليمي، وتحديث مصادر دروسه وتنقيحها والإضافة إليها، علاوة على ذلك كله تكوين كوادره التعليمية وتدريبهم، والاعتماد على الوسائل التعليمية المعاصرة في العملية التعلمية التعليمية، كما يوصي على والانفتاح على العلوم العصرية واللغات الأجنبية، والاهتمام بكتب البحوث العلمية، وتدريس القضايا المعاصرة.

مفاتيح البحث:

التعليم التقليدي، التطور التكنولوجي، ماليزيا.

[1] Universiti Sultan Zainal Abidin, Terengganu, Malaysia.

Coressponding Author:
ROSLAN AB RAHMAN, Universiti Sultan Zainal Abidin, 21300 Kuala Nerus, Terengganu, Malaysia.
Email: roslansbr@unisza.edu.my

Abstract
In Malaysia, free traditional religious education is considered one of the heritage and religious symbols. Throughout its history, its schools have provided great services to society, and have played many roles for the Malay nation, including educational, educational, social, religious, and preservation of Malay heritage and culture. However, this education witnessed a great change in changing the path of civilization in the country from beginnings to prosperity and development, and ending with shrinkage and stagnation, as it moved from studying scientific assets to limiting to abbreviations and footnotes, and from advanced knowledge based on diligence to constant information in books and texts. Accordingly, this article examines the problems that afflicted him and led him to stagnation and decline. It also aims to highlight the reasons for this, as well as provide adequate suggestions for its advancement. In collecting its materials, the article relied on the inductive approach, whereby its material was followed in the stomachs of books and magazines, and information related to it was collected from these sources. It was also used to analyze the materials with a descriptive method, as a report of variables and facts. It is concluded from this study that the reasons for the failure of free religious education are due to the policy of the Western occupier during the colonial days, in addition to the government exclusion after independence. What made matters worse was the unwillingness of those in charge of it to develop it and reform its schools, and to stand in front of calls for reform and advancement, to organize study in them, and to develop their curricula and educational methods to keep pace with the times, and insisted on the necessity of staying on those weak educational curricula that are not compatible with the age of civilization and development, and they claimed that The calls for renewal are a new heresy, whose brigade is hostile to the original schools, and they considered it a means to undermine their schools, and they rejected with all force, any attempt aimed at reform and renewal in the curricula, and considered it an unforgivable sin. The article suggests, for its advancement, to rely on government financial and moral support, and before that, to reform its systems. Administrative and educational, and updating, revising and adding to the sources of his lessons, in addition to all of this, the formation and training of his educational cadres, relying on contemporary educational methods in the educational learning process, and he recommends openness to modern sciences and foreign languages, interest in scientific research books, and the teaching of contemporary issues.

Keywords
Traditional Education, Technological Development, Malaysia.

Cite This Article:
Al-Hassan Lahbabi Muhammad, Daud Ismail & Roslan Ab Rahman. 2018. Mustaqbal al-ta'lim al-dini al-taqlidi al-hurr bi al-Maliziya fi dhill al-taqaddum al-hadari wa al-tatawwur al-tiknulugi fi al-bilad. *BITARA International Journal of Civilizational Studies and Human Sciences* 1(4): 20-31.

المقدمة

بفضل التعليم الديني التقليدي الحر ومؤسساته، استطاع الملايويون أن يحافظوا على دينهم وقيمهم، من خلال قيام شيوخها الأجلاء بتربية الولدان على الأخلاق الحميدة، وتوعية الناس، وتعليمهم أمور دينهم، وحثهم على التمسك بالقرآن والسنة، وخاصة إبان الاحتلال البريطاني الذي جثم على البلد قسطا من الزمان. وهذا التعليم مازال موجودا إلى الآن، يقاوم مناخ الحداثة والعصرنة، ولقد مر بمراحل مختلفة تعرض فيها للمد والجزر، فازدهر حينا من الزمان، وأصيب بالجمود والانحطاط قسطا من الدهر، واندثرت بعض مؤسساته، وذوى غصن البعض منها، وتراجع دور ما تبقى منها تحت ضغط مجموعة من العوامل، كالاستعمار الذي حاصرها وضيق عليها، والمدارس العصرية التي زاحمتها، والحكومات المتعاقبة بعد الاستقلال التي لم تهتم بها، وفضلت عليها المدارس الحديثة، والتحول الحضاري الكبير الذي اجتاح العالم بأسره، علاوة على بعض الشيوخ لتلك المدارس، الذين يستعملون في الدراسة منهجا تربويا موروثا،

تجاوزه الزمان، ويصرون على وجوب البقاء على المناهج التعليمية القديمة، بالرغم من أنها لاتلائم هذا العصر، ويحاربون كل صوت تنادي بالإصلاح والتجديد في المناهج.

نبذة عن ماليزيا

تقع ماليزيا في جنوب شرق آسيا، وتبلغ مساحتها 330 ألف كيلو متر مربع، ومناخها استوائي دائم الأمطار والحرارة، لطيف ودافئ على مدار السنة، تتراوح درجة حرارتها ما بين 21 درجة مئوية إلى 32 درجة مئوية، وهي دولة ملكية اتحادية فدرالية، تتشكل من شطرين منفصلين ببحر الصيني الجنوبي، وهما ماليزيا الغربية التي تحدها شمالا سنغافورة، وجنوبا تايلاند، وشرقا جزيرة سومطرة، وغربا البحر الصيني. وماليزيا الشرقية التي تقع على جزيرة بورنيو وتتشارك الحدود مع بروني وإندونيسيا، تضم ماليزيا عددا كثيرا من الجزر. ويتألف الشطر الغربي من اثنتي عشرة ولاية، تتفاوت فيما بينها من حيث المساحة والسكان وأعراقهم، أما الشطر الشرقي فيتكون من ولايتين كبيرتين، هما سرواك وصباح. وقد بلغ عدد سكان ماليزيا سنة 2010 حوالي 28 مليونا و334 ألف نسمة، وينتمون إلى أعراق متعددة، ذات لغات وأديان وثقافات مختلفة، وأهم هذه الأعراق ثلاثة: الملايو، والصينيون، والهنود. وأكبر الفئات عددا من هذه الأعراق هم الملايو، وهم سكان البلاد الأصليون، ويشكلون حوالي 67,4٪ من السكان، ويدينون بالإسلام السني على المذهب الشافعي. بينما تبلغ نسبة الصينيين 26,6٪ والهنود 7,3٪ وهؤلاء جيء بهم من قبل المحتلين إبان الاحتلال، للعمل في الزراعة والمطاط. أما الأديان الموجودة في ماليزيا غير الإسلام فهي: البوذية، ويدين بها أغلبية الصينيين. والمسيحية، ويدين بها بعض الصينيين مع عدد لا بأس به من الهنود. والهندوسية، ويتبعها معظم الهنود. وهناك أديان تقليدية صينية أخرى كالكنفوشيوسية، والطاوية. ويضاف إلى هؤلاء الأعراق العرب الذين وصلوا ماليزيا فيما مضى (إسماعيل 2004: 12 – 13) و (Mohammad 2005:3) .Redzuan Othman,

وصل الإسلام منطقة جنوب شرق آسيا عموما، ومنها ماليزيا، عن طريق تجار العرب ودعاتهم، الذين كانوا يترددون إلى الأرخبيل الملايوي بين الفينة والأخرى، لأجل التجارة والدعوة، وكان ذلك في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجريين" (مؤنس، حسين 1987: 380) و (الطنطاوي 1992: 106) و (حسن محمد كمال 1997: 410 – 418).

مواكبة ماليزيا للحضارة العمرانية والصناعية والتكنولوجية

اهتمت ماليزيا بالعلوم العصرية، وواكبت الحضارة بنشاط وهمة ملحوظتين، فكان لها حظا وافرا من الحضارة العمرانية والتكنولوجية في شتى المجالات، إذ لم تأت تجربة ماليزيا الحضارية والتكنولوجية والاقتصادية وصناعيا من فراغ، بقدر ما هي نتاج جهد وأدب القيادة الماليزية. لقد استفادت من الدول الناهضة حضاريا واقتصاديا وتكنولوجيا، وخاصة اليابان، التي اتخذتها مثالا لها واحتذت بها، وسارت على نهجها، فأصبحت دولة متقدمة في المجالات؛ الاقتصادية والحضارية والصناعية. (محمد يعقوب وآخرون 2015: 120 – 131) و (نادية 2012: 155 – 186).

مفهوم التعليم الديني التقليدي الحر

هو التعليم المتوارث عن الآباء والأجداد، والذي كانت تعقد حلقاته بالكتاتيب والمساجد والزوايا والعتيقات والفناديق وغيرها... ويوصف بالتقليدي لمنسوبه إلى التقليد بمعنى القديم. جاء في المعجم العربي الأساسي ما نصه: "تقليدي: منسوب إلى التقليد أو التقاليد، ورجل تقليدي: متمسك بالقديم، وصناعة تقليدية: تعكس تراث الآباء والأجداد، وتقليدية: نزعة ترمي إلى الاستمساك بالماضي ومعارضة التطور والتجديد" (جماعة من كبار اللغويين العرب 1988: 1003).

للتعليم التقليدي أوصاف أخرى حسب كل بلد أو قطر، فيوصف بالأصيل؛ هكذا: التعليم الأصيل، لأصالته وعراقته وثبوته ورسوخه وتجذره. (ابن منظور 1301ه:155) وبالعتيق؛ هكذا: التعليم العتيق؛ أي الكريم، والقديم، والجميل، يقال: فرس عتيق؛ أي الكريم الرائع، والبيت العتيق؛ أي الكعبة المشرفة، وسميت كذلك لقدمها، لأنها أول بيت وضع للناس، وامرأة عاتقة؛ أي جميلة. (أشوخي 2015: 4-5). وبالديني؛ هكذا: التعليم الديني، وبالشرعي؛ هكذا: التعليم الشرعي، منسوب إلى الدين والشرع، وتعلقه بهما، وذلك لكون المواد والفنون التي تدرس فيه دينية وشرعية فقط، أو لكون غالبيتها كذلك.

لمحة عن التعليم الديني التقليدي الحر بماليزيا

للتعليم الديني التقليدي في العالم الإسلامي – ومنه ماليزيا – امتداد طبيعي لنظام التعليم في أول مؤسسة إسلامية ظهرت على وجه الأرض، وهي مدرسة دار الأرقم بن أبي الأرقم في مكة المكرمة، حيث كان يجلس النبي صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم وحوله المسلمون يعلمهم دينهم ويزكيهم. ووريث شرعي للتعليم السائد بالمدينة المنورة بعد أن هاجر إليها النبي صلى الله عليه وسلم واستقر بها. (جي، دون تاريخ: 17 – 24).

لقد بدأ التعليم الديني في الازدهار والانتشار حول ربوع الأرخبيل الملايوي عامة، وماليزيا خاصة منذ وصول الإسلام إلى هذه الرقعة النائية والشاسعة، وبدأت طبيعة الحياة الفكرية والثقافية لشعوب المنطقة برمتها تتغير، من سيء إلى حسن، ومن حسن إلى أحسن، بفضل انتشار هذا التعليم، الذي حرر عقول الناس من تأثير الديانات الشركية الوافدة من الهند، كالبوذية والهندوكية، التي كانت تدين بها شعوب المنطقة، وأخذ نجم تلك الديانات في الأفول شيئا فشيئا، واختفت معها اللغة السنسكريتية السائدة في المنطقة آنذاك (Abdulla Jusoh 1990: 5-7).

وكانت منازل العلماء في بداية الأمر هي المؤسسات التعليمية، التي تدرس فيها مبادئ اللغة العربية، والمعلوم من الدين بالضرورة، والقرآن الكريم، وبمرور الزمان مع ازدياد الناس لم يعد تتسع تلك البيوت الصغيرة للتجمع وإلقاء الدروس، فأنشأ المجتمع مصليات ومساجد لتكون مقرا لاجتماعاتهم التي يناقشون فيها أمور دينهم، وما استجد من شؤون حياتهم، ولتلقي العلم، إضافة إلى أداء الصلوات الخمس والجُمع (شلبي 1983: 153) و (سوبينتي 1971: -41 – 46).

وفي القرن التاسع عشر ظهرت مؤسسات تعليمية دينية في ماليزيا، وخاصة في ولايتي ترنجانو وقدح، وبالأخص في ولاية كلنتن التي كثر فيها هذا النوع من المؤسسات، وانتشر في جميع أرجائها. ويطلق عليها اسم"الفوندوق". ولقد أسهمت في حماية وصقل

المجتمع الملايوي قديما وحديثا، بما تقوم به من أدوار تربوية وتعليمية واجتماعية. ويعد التعليم الذي تقدمه للمجتمع محصنا للسان من حيث الأداء اللغوي، وللفكر من حيث سلامة العقيدة، وللروح من حيث البناء السليم. لكن هذا النوع من المدارس عرف منافسة شديدة من قبل الوسائل التعليمية الأخرى المتطورة، كالمدارس الحديثة، والفضائيات التعليمية، والشبكة العنكبوتية، والأدوات التدريسية المعاصرة. مما أدى إلى تراجعه نسبيا من حيث قلة رواده، وضعف المتخصصين في التدريس فيه، من حيث عدم مواكبتهم للتطور التقني العلمي المعاصر. (عبد الغني يعقوب فطاني 2008: 318 – 320) و(محمد زاهيري 1996: 293).

نظام التعليم الديني التقليدي الحر بماليزيا

إن النظام الدراسي في المدارس الدينية التقليدية بماليزيا، بشكل عام يكاد يكون متحدا في عمومه، إلا أنه يختلف في بعض الخصوصيات التي تتميز بها كل مدرسة عن غيرها، فمن حيث الاتحاد يجد الباحث أنه نظام عريق تراثي، يعتمد على التلقي المباشر من الشيخ، والمذاكرة والمراجعة، ويعتمد في العملية التعليمية والتربوية على النظم والمناهج والطرق التقليدية، وتدرس فيها علوم دينية، ولسانية، وتاريخية، ويبدأ العام الدراسي فيه في السادس عشر من شوال في كل سنة، ولا تتوقف فيه الدراسة إلا في عطل رسمية، يحددها التقويم الدراسي التالي:

نوع العطلة	تاريخها	عدد أيامها
دينية	عيد الأضحى	خمسة عشر يوما
	عيد المولد	خمسة عشر يوما
	ذكرى الإسراء والمعراج	يومان
أسبوعية	يوم الجمعة	يوم كامل
سنوية	15 من شهر شعبان	شهران

وهو نظام روحاني كذلك، يهدف إلى بناء شخصية مسلمة لطالب العلم، يعرف الحق من الباطل، والحلال عن الحرام، والخوف من الله، ويعرف أن ما يحمله من العلم والمعرفة في صدره إنما هو تركة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأنه بهذا العلم يستحق أن يكون خادماً وسيداً لقومه، أكثر من كونه نظاما شكليا الهدف منه الحصول على بعض الشهادات والمناصب الإدارية والعلمية (كورت 2012: 38 – 39). إن جل المدارس الدينية التقليدية بماليزيا فيها قسمان:

الأول: القسم العمومي، وتلقى فيه دروس الوعظ والإرشاد، التي دأب عليها شيوخ المدرسة على إلقائها في المسجد، لكبار السن من الشيوخ والعجائز المقيمين في الفوندوق، ولعموم من أراد التفقه في دين الله من عوام قرى المجاورة للمدرسة، الذين لم يسعفهم وقتهم للالتزام بالنظام التعليمي في المدرسة. وتتمحور هذه الدروس حول التصوف والفقه والعقيدة ليس إلا. والهدف منها ربط الناس

بدينهم، وتنقية عقائدهم من الشرك، وتصحيح معاملاتهم، وترسيخ الخلق الحميدة في نفوسهم، وتوفير الحد الأدنى من العلم. (محمد زاهيري 1996: 144).

الثاني القسم الخصوصي، وهو تعليم موجه لطلبة العلم، المقيمين في المدرسة، وهو خاضع لنظام محكم من المناهج الدراسية، التي يتلقاها الطالب في المدرسة، ويشمل المنهاج، والمواد الدراسية، والكتب المعتمدة، وطرق التدريس، ويخضع الطلبة في هذا القسم إلى قوانين محكمة؛ لضمان السير الحسن للنظام بالمدرسة، كالتزام الطالب حضور حلقات العلم ودروسه، والمداومة على حضور مجالس الذكر وقراءة ياسين، إنه نظام يعتمد على دراسة توجيهية من الشيخ مباشرة للطالب (كورت 2012: 19).

أما العملية التعليمية والتربوية في هذا القسم فتعتمد على النظام التقليدي الحلقي، الخاضع لنظام محكم من المناهج الدراسية، التي يتلقاها الطالب فيها، غير أن هذا التعليم لم يكن واضح المعالم، من حيث المدة الزمنية، ولا المراحل الدراسية المعروفة في المدارس العصرية، ولا يشترط فيمن يريد متابعة الدراسة فيه، إلا شرط واحد، وهو أن يكون ملما بالحرف الجاوي، كتابة وقراءة، لذا لا غرو أن تجد في هذا القسم، طلابا متباينين في العمر، شبابا ذوي العشرين سنة، ويافعين ذوي الثلاثين، وغلمانا ذوي الخمس عشرة، يجلسون جنبا إلى جنب، في حلقة واحدة، وباستطاعة طالب العلم أن يلتحق بهذا القسم في أي مرحلة من مراحل العمر، لا يمنعه من التعلم حداثة سن، ولا شيخوخة، وله أن يمكث في رحاب المدرسة ما شاء من السنين، حتى وإن أكمل دراسة الفنون والمتون المدروسة في الفوندوق، كما له أن يختار الحلقة التي يشاء، والمواد الدراسية، والكتب المقررة، والحصص الدراسية المناسبة لمستواه، وبالمقابل للطالب كذلك أن ينسحب من المدرسة متى شاء إلى مدرسة أخرى، أو أن يغادرها نهائيا لمباشرة شؤونه وتدبير أموره. (الندوي 1995: 66 – 69) و (كباشي 2003: 137).

أما الفنون المدروسة في هذا القسم فهي العلوم السائدة بالمدارس الدينية التقليدية بالأرخبيل الملايوي عموما، المتمثلة في العلوم النقلية؛ كالتوحيد، والفقه وأصوله، والتفسير وعلومه، والحديث وعلومه. والعلوم اللسانية؛ كالنحو، والصرف، والبلاغة، والعلوم العقلية؛ كالتاريخ والسير، والمنطق، والأخلاق، والتصوف، ولم تعرف المدرسة في منهجها التعليمي نظام التخصصات، بل كان قائما على أسلوب تنوع العلوم، ما بين النقلية والعقلية، إلا فيما يتعلق بتخصيص المذهب الشافعي في دراسة الفقه، باعتباره المذهب الرسمي للبلد، والعقيدة الأشعرية لكونها العقيدة السائدة في المنطقة بأسرها، والتصوف السني الذي نال العناية القصوى من قبل شيوخ مدارس الفوندوق، والمقررات الدراسية في هذا النوع من التعليم تراثية، معظمها باللغة العربية، والباقية منها باللغة الملايوية وبالحرف الجاوي. (كباشي 2003: 138 – 143) و (عبد الغني،2007: 315 – 320).

وبالرغم من عدم تحديد المراحل التعليمية في هذا القسم، إلا أن إمعان النظر في الكتب المقررة على الطلاب المنتسبين إليه، وترتيبها من السهل إلى الصعب، ومن البسيط إلى المعقد، ما يدل على تقسيم الدراسة حسب المراحل المعروفة في المدارس الحديثة، وهي الأولى أو الابتدائية، والإعدادية أو المتوسطة، والثانوية أو العالية، فطالب النحو والصرف والفقه – مثلا – يمر في دراسته لتلك المتون بهذه المراحل التالية:

المرحلة الابتدائية: يبدأها الطالب بحفظ متن الأجرومية في النحو، ومتن البناء في الصرف، ومتن الغاية والتقريب في الفقه، حفظا متقنا، وبعد أن يتم حفظها وعرضها على الشيخ، يسمح له بتعلمها وتلقيها. (الندوي 1995: 66 – 69).

المرحلة المتوسطة: يمر فيها الطالب على عدة مواد مختلفة، ويقوم فيها بتلقي بعضا من المتون العلمية الجديدة، وتعلم الكتب الكبيرة، التي تساهم في تكوينه تكوينا علميا، فيدرس في مادة النحو كتابين لابن هشام الأنصاري؛ قطر الندى وبل الصدى، وشذور الذهب. كما يدرس في مادة الصرف، متن العزي في التصريف بشرح الكيلاني على العزي، أما في مادة الفقه؛ فيدرس فيها الإقناع في حل ألفاظ ابن شجاع، لشمس الدين بن أحمد الشربيني (عبد الخالق 1966: 166).

المرحلة العليا: في هذه المرحلة يدرس الطالب الفنون العلمية المتنوعة العليا، بالمتون الصاعدة، وبالمطولات من المراجع وأمهات الكتب، ففي مادة النحو يدرس ألفية ابن مالك، ويستعين على فهم هذه المنظومة بعدة شروح، كشرح ابن عقيل على الألفية، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك، وشرح المكودي على ألفية ابن مالك. ويدرس في مادة الصرف كتاب شذا العرف في فن الصرف؛ للشيخ أحمد بن محمد الحملاوي، ومراح الأرواح في علم الصرف، للشيخ أحمد بن علي بن مسعود، بشرح الشيخ شمس الدين أحمد المعروف بديكنقوز، وفي الفقه يدرس ويطالع عدة كتب أهمها: منهاج الطالبين وعمدة المفتين للإمام النووي، بعدة شروح، أهمها: الابتهاج في شرح المنهاج للإمام تقي الدين السبكي، والسراج الوهاج للإمام الزملكاني، وكافي المحتاج شرح المنهاج للإمام الأسنوي (كباشي 2003: 138).

طرق التدريس بالمدارس الدينية التقليدية بماليزيا

لقد اهتمت المدرسة الدينية التقليدية في ماليزيا بالجانب التعليمي كما اهتمت بالجانب التربوي، لذا فالطريقة المتبعة في التدريس بها، والفنون العلمية المدروسة فيها، لم تختلف كثيرا عن الطرق التعليمية وما يدرسه طلبة العلم من العلوم في تلك المدارس، خصوصا في التعليم بالنظامين؛ العمومي والنظامي، وما تقرر على الطلبة من الكتب في هذه المدرسة، هي الكتب نفسها السائدة في المراكز التعليمية بالأرخبيل الملايوي.

إن الطريقة المعتمدة في العملية التعْليمية التعَلُّمية بالمدارس الدينية التقليدية، لإيصال المعلومة إلى ذهن الدارس، وإفادة الطالب حكمة أو حكما شرعيا، لهي تلك الطريقة القديمة الموروثة عن الأقدمين، ولا تختلف عن طريقة عموم المشارقة التي تعتمد على حفظ بعض المتون، والمفردات العربية، والتلقين والتلقي والإلقاء ومناقشة الدرس، وتصفح نصوص المدونات والمنظومات التعليمية بالشرح والتوضيح، وذلك من خلال إيراد المسائل والقضايا والأفكار واستعراضها أثناء الدرس، واستحضار كل أقوال العلماء في كل مسألة معينة، وخاصة في الفقه والتصوف والعقيدة. ويتم إلقاء الدروس في الحلقات، حيث يجلس الشيخ مستندا إلى الحائط وحوله مجموعة من الطلبة يجلسون على البسط، ويستمعون إلى الدرس بتفان، وبأيديهم كتب، وكراسات، وأقلام، يقيدون بها الفوائد ويودعونها تلك الكراسات، ويترجمون الكلمات والعبارات الصعبة من اللغة العربية إلى لغتهم الأم. وتنطلق حصص الدروس من كتاب معين في المادة المدروسة، وتكون طريقة إلقاء الدرس باللغة الملايوية، الممزوجة باللغة العربية الفصحى أحيانا. (محمد زاهيري 1996: 144) و (عثمان 2011:131 – 165).

الاعتراضات القائمة في وجه النظام التعليمي التقليدي بماليزيا

قبل الحديث عن هذه الاعتراضات، لا بد من ذكر فضل هذا التعليم وإيجابياته، فأقول: للتعليم الديني التقليدي فضل كبير لا ينسى، تجاه الدين، والمجتمع، والوطن، والأخلاق، واللغة العربية، والعلوم الشرعية. فقد كانت مدارسه صمام الأمان والأمن لهذه الأمة، بدفاعها عن ثوابتها الدينية والوطنية، ومحافظتها عن هويتها الإسلامية، وتراثها العلمي والثقافي والحضاري، كما كانت ملجئا وحصنا آمنا للشباب من التطرف، والتغريب، والأفكار الوافدة خارج الحدود، ومن كل انحرافات، وخاصة أيام الاحتلال البريطاني لماليزيا، الذي كان يسعى لطمس هوية الأمة الملايوية ودينها وثقافتها وحضارتها، وذلك بنشرها الوسطية والاعتدال في المجتمع الملايوي، عن طريق الحلقات التعليمية، والمجالس التربوية، التي تقام داخل أسوارها أوفي أروقتها.

إن مما طالته انتقادات المنتقدين في نظام التعليم التقليدي ومؤسساته وشيوخه وطلابه ما يلي:

1. التعليم غير المنظم على النسق النافع، في المؤسسات الدينية التقليدية، من حيثيات شتى. منها: كثرة عدد المتعلمين في الحلقة الواحدة، وعدم الترتيب، وعدم مراعاة الفروق الفردية والأعمار بين المتعلمين، حيث تجد في بعض تلك المؤسسات الغلام ابن الثانية عشرة سنة، والشاب ابن العشرين، والكهل ابن الثلاثين، وربما يجلس التلميذ إلى جانب الطالب، والصغير إلى جانب الكبير، والمبتدئ بجانب المنتهي، في حلقة واحدة. (كباشي 2003: 136 – 137).
2. غياب تطبيق نظام الامتحانات في المنظومة التعليمية في جُلِّ مؤسسات التعليم التقليدي، التي توضح مستوى الطالب، وتؤهله إلى مستوى أعلى إن استحقه، ويتميز بها الطالب المجتهد عن الطالب الكسول. (محمد زاهيري 1996: 287).
3. عدم تحديد المراحل التعليمية وأطوارها التي بقيت مفتوحة على مصراعيها، فيبقى الطالب سنوات كثيرة في المدرسة دون جدوى، أو ربما يبقى فيها عمره كله.
4. طول الفترة الدراسية خلال اليوم، مما يؤخذ على معظم المؤسسات التعليمية التقليدية، عدم تحديد المدة الزمانية للدروس، فتستمر الدراسة اليوم كله، من بعد صلاة الفجر إلى صلاة العصر، ولا يتخللها شيء من الراحة، اللهم ما أخذ لوجبة الغذاء أو الصلاة، وربما تعقد بعض الحلقات بعد صلاة العشاء، حسب كل بيئة، أو قطر، أو دولة، أما الحصص الدراسية فتستغرق تارة ساعة زمنية كاملة، وتارة أخرى أكثر أو أقل من ذلك، وهذا النظام قد يناسب البعض دون الآخرين، وزمنا دون آخر.
5. الانفصام بين المناهج الدراسية والواقع، حيث جاءت تلك المناهج قاصرة، وغير متفقة مع شمول الشريعة الغراء، على الرغم من أنها قررت مواد قوية في الفقه والنحو والعقيدة، إلا أنها لم تقرر مواد تسايرة متطلبات العصر. (سلمة 1997: 86).
6. تدني جودة الكتب المقررة دراستها في المدارس الدينية التقليدية، من حيث جودة الورق، والطباعة، والخط، ذلك أن معظمها مر على تأليفها زمن طويل، دون أن تنال أي تغيير أو تطوير. (سلمة 1997: 87).
7. قلة الانضباط والمواظبة من قبل بعض الطلبة في المجالس التعليمية، حيث يحضر الطالب أحيانا، ويغيب أحيانا أخرى بسبب أو بدونه، لعدم الاهتمام بتسجيل الغياب، وزجر الغائب بدون سبب معتبر.

8. عشوائية الدخول والخروج والانتقال، لا يلتزم طلبة مؤسسات التعليم التقليدي بالانضباط والقوانين المؤسساتية، وخاصة في الأحوال الآتية: الغياب عن المؤسسة والرجوع إليها بلا إعلام، ومغادرتها أو الانتقال منها إلى غيرها بلا وداع، والسفر منها إلى أية وجهة دون استئذان. (كورت 2012: 14 – 15).
9. الانحراف من إدراك المقاصد وتحقيق الأهداف. لقد انحرفت غالب مناهج التعليم التقليدي، في بعض المؤسسات التعليمية التقليدية عن الجادة، بإفراطها في تعليم لطلبتها التصوف وعلوم الآلة، وخاصة فني النحو والصرف، دون تسخيرها لما وضعت لها، مع التفريط في تعليمهم علوم الغاية، وخاصة علمي الحديث والتفسير. (محمد زاهيري 1996: 281).
10. التركيز على جانب الحفظ والتلقين أكثر، وإغفال النشاطات الأخرى المؤدية إلى سرعة الفهم مثل كتابة البحوث العلمية، وفتح باب المناقشة والمداخلات والحوارات، أثناء الدرس، والاستفادة من طرق التدريس الحديثة، مما يؤدي إلى إضعاف قدرات الطالب العقلية على التفكير السليم، والاستنباط الصحيح، ويجعله عنصرا سلبيا، يسمع ما يلقى إليه ليس إلا (سلمة 1997: 88).
11. الجمود والتعصب للقديم، من خصائص المؤسسات الدينية التقليدية تربيةُ أبنائها المتعلمين فيها على الجمود، والتمسك بالقديم، والتعصب للمذاهب الفقهية والعقدية المدروسة في المؤسسة، والسائدة في القطر، ومحاربة كل جديد، وقلما تجد طلبتها يقبلون شيئا مغايرا لما تربوا عنه في أسوار مدارسهم، وما سمعوه من مشايخهم.
12. الانعزال، من سمات شيوخ مؤسسات التعليم التقليدي وطلابها قديما الانعزال، والتقوقع على النفس، تجدهم يعيشون في المجتمع، لكن قلما تجدهم يتفاعلون مع مشاكله، وما زال البعض منهم في هذا العصر تغلب عليه تلك الصفة الانعزالية، والبعض الآخر قد تغيرت ظروفه وأحواله شيئا ما، في الآونة الأخيرة. (محمد زاهيري: 1996: 284)
13. الانغلاق وعدم الانفتاح على العلوم الحديثة، والقضايا المعاصرة، واللغات الأجنبية، علاوة على العالم الرقمي، والشبكة الدولية للمعلومات، والتكنولوجية المتقدمة، والتركيز فقط على المسائل والأبحاث المنفصلة عن الواقع تماما، كأحكام الرق مثلا. (سلمة 1997: 97).

الحلول والاقتراحات الكافلة بالنجاح للنهوض بالتعليم التقليدي الحر

لا بد من إنقاذ هذا النوع من التعليم من براثن النسيان، والهلاك والتهميش، والاعتناء بها عناية لازمة، ورعاية كاملة، وتدعيم مركزه في المجتمع، وإحيائه ليؤدي أدواره المنوطة به، والقيام بالنهوض به وتطويره ليساير العصر، عصر التكنولوجية والعولمة، من خلال ما يلي:

أولا: الاعتراف الحكومي به، والالتفات إليه. ولا يكون ذلك إلا بإصلاح بنايات مدارسه، وإغداق المال على ساكنيها، والإنفاق عليهم، عن طريق إجراء راتب شهري على قيميها وموظفيها، وتقديم العون المستمر لطلبتها، عن طريق تموين المنقطعين إليها وتمويلهم للعكوف على طلب العلم، وتسليمهم شهادات علمية في مستواهم، تؤهلهم للقيام بوظائف تناسبهم في المجتمع، وتهيئة الوسائل الثقافية النافعة، وعلى رأسها خزانة مجهزة بأصناف المراجع والمصادر من كل علم، وأمهات الكتب، وأشكالها؛ من كتب

فكرية وعلمية وأدبية، فالمكتبة ركن من أركان الدراسة، وعمود من أعمدتها الذي يتوقف عليه سير التعلم والتعليم، فكون الكتاب في متناول طالب العلم أعون له على ما هو بصدده من البحث والتنقيب.

ثانيا: ضبط أوقات التعليم. إن ضبط أوقات التعليم للتدريس لهو السياج الوحيد لدفع التداخل بين أوقات الدروس، وهو المبدأ العظيم لكل نظام يراد إجراؤه في توزيع التلامذه، ومراقبة حضور المدرسين، وتوقيت مقادير الدروس، وذلك أن التوقيت للشغل هو راحة البال للمستقبل، وتدريب على إعطاء الوقت قيمته من العمر، ذلك أن الأمر الذي يغفل الذاهلون عنه كثيرا، فتضيع عنهم أزمان عزيزة، والتلميذ إذا ضمه درس ليس بمؤقت وجاء وقت درسه الموالي له وهو في الدرس الأول تشوش باله، وذلك يفيت عنه الدرسين معا.

ثالثا: تنظيم التعليم ينبغي إخضاع برامج التعليم إلى النظام، بتقدير فترة الدراسة بزمن معين، يقدر باثنتي عشرة سنة، للحد من هدر الوقت واستغراق العمر بين جذران المدارس، ومن طول المكث والإقامة في رحابها بلا فائدة، وتشجيع الطلبة على تحصيل العلوم في وقت وجيز. وربط المراحل الدراسية بالزمان، بدل المقررات والمتون، وتقسيمها تقسيما عصريا؛ إلى مراحل أربعة، كما في المؤسسات التعليمية العصرية. ويراعى فيها التدرج في المعارف والأفكار، وتحديد المواد والمقررات لكل مرحلة، ومراعاة الفروق الفردية والأعمار بين المتمدرسن. لأن ذلك يؤدي إلى مراعاة الطالب المجتهد والذكي، من الكسول والضعيف، وهذا مفيد جدا، وموافق لقول ابن مسعود: "ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة".(مسلم، بن الحجاج 2006: .6).

رابعا: كبح تجاوزات الطلبة، وضبط تصرفاتهم في الخروج والدخول، من المدرسة وإليها، والحد من غيابهم عن الحلقات التعليمية، بالتربية المثالية المبنية على احترام الوقت، والتوجيه السليم نحو المستقبل، وبث التوعية في الطلبة، وتقديم النصح لهم، وتحبيب العلم لهم، وذلك عن طريق إقامة دورات تحسسية لأجل تحبيبهم في العلم، وتقديرهم قيمة للوقت، وتربيتهم على الجد في العمل، وحثهم على احترام قانون المدرسة، وإطلاعهم على مخاطر تضييع العمر. بعد هذه الإرشادات والتنبيهات والتحذيرات، لا بد من الإجراءات التأديبية في حق المخالفين، وتفعيل القانون المدرسي وتطبيقه على كل من خالف منهم، لكن باتباع التدرج في هذه الإجراءات التأديبية، فلا تعامل المخالفة المرتكبة لأول مرة، كما تعامل المخالفة المتكررة، التي تنم عن إصرار على الخطأ.

خامسا: تغيير منهجية التعليم، من التقليدية الموروثة إلى المعاصرة، وذلك بأن يمزجوا بين الأصالة من حيث المواد المقررة، والمعاصرة من حيث كيفية تلقينها وطريقة تدريسها الملائمة للعصر، اعتمادا على الوسائل الحديثة، وأن لا تحشد ذاكرة الطالب بكثرة الحفظ والاستظهار على حسب الفهم والابتكار، ولا يكلف ما لا يستطيع تحمله، وينبغي الابتعاد شيئا ما عن الانكباب على الكتب الصفراء البالية، والحواشي والألغاز. والاعتماد في إلقاء الدروس على اللغة العربية بدل اللغة الأم للطالب. والاعتناء في تنمية تفكير الطالب وبناء العلم لديه على الفهم والحفظ معا، ولا يغلب أحدهما على الآخر، لأنهما بمثابة جناحي طائر لطائب العلم، والطائر لا يستغني بجناحه عن الآخر، ولا يستقيم له الطيران إلا بامتدادهما معا، كذلك الطالب لا يستغني بالحفظ عن الفهم، والعكس صحيح.

سادسا: تنقيح المنهج الدراسي وتحقيقه من أخطاء لغوية ونحوية وأسلوبية، وتجريده مما لا فائدة منه، من الاستطرادات المطولة، وبعض أبوابه التي لم تعد مرتبطة بالعصر، كأبواب العتق وأم الولد، والمسائل النادرة الوقوع، وما شابهها، وإعادة كتابته على النمط الحديث، ليواكب العصر ومقتضياته وظروفه، وإضافة علوم مهمة إلى منظومة التعليم التقليدي، كالتاريخ، والجغرافيا، والرياضيات،

والهندسة، والفلك، والطب وغيرها. وإدخال العلوم العصرية في مناهجه التعليمية، والانفتاح على اللغات الأجنبية، وخاصة الحية منها، وإتقانها إلى جانب اللغة العربية الفصحى، لكون العلوم الطبيعية، والدعوة الإسلامية، والتكنولوجية الحديثة، متوقفة عليها.

سابعا: تدريب المعلمين وتكوينهم، وتنميتهم مهنييا والاهتمام بوضعتهم لم تعد قضية هامشية ثانوية، بل إنها قضية ضرورية، أوجبتها على المجتمعات التحديات والتحولات الكبيرة، التي تجتاح العالم في العصر الحديث، من مستجدات وتغيرات سريعة، تفرض نفسها على المجتمعات في سائر الأمصار، إلى إحداث تغييرات في المنظومة التربوية، قصد تطويرها وتحسينها، حتى تواكب العصر، والتطورات العالمية، وتساير التقدم الحاصل في عالم التربية والتعليم، فإلى جانب الصفات العامة والخاصة التي يجب أن تتوفر في المعلم، فإنه بحاجة أيضا إلى إعداد خاص يؤهله ويُعده لأداء عمله على أكمل وجه، تحت إشراف فني خاص؛ أي يجب عليه أن يمر بفترة التدريب العملي لكي يرتقي بأدائه، ومهاراته وقدراته، حتى يواكب كل جديد، لأن إعداده وتنميته مهنيا يعد من أساسيات تطوير التعليم، وتكوينه ضروري لأداء رسالته على أحسن وجه ولأن العملية التعليمية والتربوية تعتمد في تحقيق أهدافها اعتمادا كبيرا عليه، باعتباره محور العملية التربوية. ثامنا: الاعتماد على الوسائل التعليمية المعاصرة في العملية التعليمية، والانفتاح على العالم الرقمي والصناعة الفضائية والتكنولوجيا المتقدمة لضمان نجاح هذا النوع من التعليم، ولغرض تحقيق هدف تطويره.

التلخيص

إن التعليم الديني التقليدي بماليزيا يعد جزءا مهما من سلسلة الحركات العلمية والثقافية الإسلامية في بلاد ماليزيا حيث لا يتجزأ من هُوِّية الشعب الملايوي المسلم. ولقد أدى عبر تاريخه الطويل أدوارا عدة ومهمة، لفائدة الدين والعلم والوطن والمجتمع، إلا أنه اليوم تخلف، وكاد الزمان أن يتجاوزه، مما يتحتم على الجهات المسؤولة القيام بما يلزم لإنقاذ هذا التعليم من الخطر الذي ألم به، وذلك بالتنسيق مع المجتمع المدني، وبإشراك الشيوخ والقائمين على مدارسه في هذا المشروع الإصلاحي، وعلى الجميع وضع اليد في اليد وبذل الجهد، ومباشرة الإصلاح، لإعطاء هذا العمل ثمرته المنشودة منه، المتمثلة في المحافظة على جوهر برامج هذا التعليم، وخصوصياته، وطابع مدارسه الأصيل، والنهوض به وتطويره على أسس متينة، تراعى فيها الأصالة والحداثة من روح المدرسة التقليدية، ونظام المدرسة العصرية، وأن لا تستبدل الحلقات بالمقاعد، ولا الكتب بالملخصات، ذلك أنه لا يختلف اثنان في تفوق المدارس الدينية التقليدية على المدارس العصرية، تعليما وتربية، لذا فإن ما تدعو إليه هذه الدراسة تنظيم التعليم التقليدي، والمحافظة على إصالته، وإدخال بعض التحسينات في منهجيته التعليمية، وإغناء مناهجه الدراسية دون المساس ببنيتها.

المراجع

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. 1999. لسان العرب. تح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط 14.

إسماعيل، محمد صادق. 2004. التجربة الماليزية محمد مهاتير والصحوة الاقتصادية. القاهرة: العربي للنشر.

الجوهري، إسماعيل بن حماد. 1990. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تح: أحمد عبد الغفور عطار. بيروت: دار الملايين. ط 4.

الطنطاوي، علي. 1992. صور من الشرق في إندونيسيا، جدة: دار المنارة.

العايد، أحمد، وآخرون. 1988. المعجم العربي الأساسي. تونس: لاروس.

محمد يعقوب ذو الكفل بن محمد يوسف وآخرون. 2015. جهود ماليزيا في التطور الأكاديمي والبحثي في مجال القرآن الكريم مركز بحوث القرآن في جامعة مالايا أنموذجا. مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية. جامعة مالايا: أكاديمية الدراسات الإسلامية. مجـ1 عـ1 أبريل2015. صـــ125 -131.

جي، سعيد الديوه، (دون تاريخ). التربية والتعليم في الإسلام. الموصل: مطابع جامعة الموصل.

سلمة حسين مصطفى. 1997. واقع التعليم في المدارس الدينية الخاصة في ولاية قدح ماليزيا بعد الاستقلال. رسالة الماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، عمان: جامعة اليرموك.

سوبينتي، كمال تشرجي. 1971. السنسكريتية ولغات العالم. مجلة ثقافة الهند. مجـ33، عـ4. صـــ41 - 46

شاكر، محمود. 1997. التاريخ الإسلامي. بيروت: المكتب الإسلامي. طـ2.

شلبي، عبد الرؤوف. 1983. الإسلام في أرخبيل الملايو. الكويت: دار القلم. طـ3.

حسن محمد كمال. 1997. الإسلام في عالم الملايا. مجلة التجديد. ماليزيا: الجامعة الإسلامية العالمية. مج1. عـ1. صـــ410 - 418.

كورت، نور الله. 2012. المدارس الأهلية في ماليزيا ودورها الحضاري المدرسة الدينية البكرية نموذجا. مجلة المجتمع. الكويت: ســـ43. عـــ2026. صـــ38 – 39.

كورت، نور الله. 2012. المدارس الأهلية في ماليزيا ودورها الحضاري في بناء الهوية الإسلامية لشعب ملايو المدرسة الدينية البكرية نموذجا. بحث مقدم في الندوة الدولية بجامعة موش التركية بتاريخ: 5 – 7 أكتوبر 2012، صـ11 – 20.

مؤنس، حسين. 1987. أطلس تاريخ الإسلام. القاهرة: الزهراء للإعلام العربي.

محمد زاهيري أوانج مت. 1996. مؤسسات التعليم الإسلامية في ولاية كلنتن بماليزيا نشأتها وتطورها وتقييمها. الأردن: جامعة اليرموك. رسالة الماجستير في التربية الإسلامية.

مسلم، أبو الحسن ابن الحجاج. 2006. صحيح مسلم. تح: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي. الرياض: دار طيبة. جـ2.

نادية، فاضل عباس. 2012. التجربة التنموية في ماليزيا من العام 2000 إلى 2010. مجلة الدراسات الدولية. عـ54. بغداد: مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية لجامعة بغداد. صـ155 – 186.

عبد الغني يعقوب فطاني. إسهامات المؤسسات التعليمية العربية والمراكز البحثية في بناء الحضارة الملايوية. إسهامات اللغة والأدب في البناء الحضاري للأمة الإسلامية.. كوالالومبور: دار التجديد للطباعة والنشر. جـ 2.

Abdullah Jusoh. 1990. *Pengenalan Tamadun Islam di Malaysia*. Kuala Lumpur: Dewan Bahasa dan pustaka.

Mohammad Redzuan Othman. 2005. *Islam dan Mesyarakat Melayu*. Kula Lumpur: Universiti Malaya.